مجموعة قصصية

أجراس القلب

Sayed

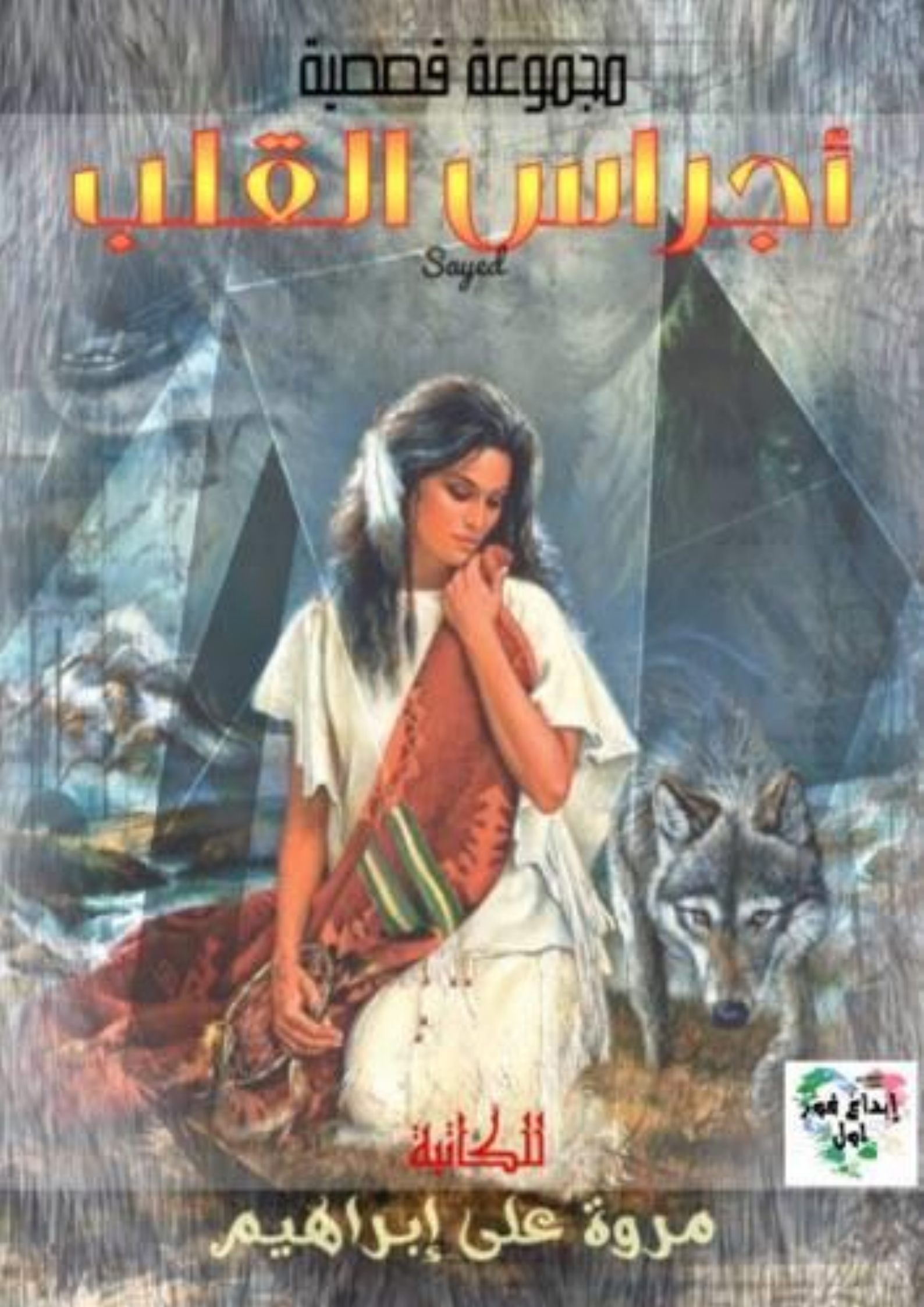

إهداء خاص
لإيمان

الكاتبة

مروة على إبراهيم

أجراس القلب

مجموعة قصصية بقلم

مروة علي ابراهيم

نشر في/يوليو 2017

تدقيق لغوي/فريق ابداع فور اول

تصميم غلاف/السيد الماوردي

تنسيق داخلي ومراجعة/فريق ابداع فور اول

جميع الحقوق محفوظة ل ©ابداع فور اول للنشر الإلكتروني والترجمة

/https://ebdaaforall.blogspot.com.eg

أجراس القلب

فهرست

1. صبابة روح.....5
2. قلبى يحبك ولكن.....11
3. دموع على وجنة الأيام.....15
4. أنعود لأنقرة.....18
5. مجون قسوة.....24
6. هتافات صامتة.....31
7. أجراس القلب.....38

"عندما تعصف بنا الحياة ، ويعلو زئير أوجاعها ، نهرب للحب ومنه ، لأن هو الرابط الأبدى بين الأرواح والمُهج وهذا الحب لايعترف بزمان أو مكان ، فى مفترق الطرق نسير بالحب وعنه أحيانا نحيد!"

مروة على ابراهيم

مصر في أغسطس 2017

صبابة روح

" الحب زنى القلب فلا تقع فيه حتى لا ترجم وتموت كافرا ، إياك أن تعشق روحا وتميل لها ، سواء أحبتك هذه الروح أم لا ، فالحب قاتل وللقلب قيد كاسر ، والمحب فى مجتمعنا زانى بالطراز الأول ، فلا يوجد حب برىء فى عالمنا ، وإن كذبوكِ فقالوا ذلك ".

بهذه الكلمات النارية أسكت يالو نصيف إبنته أليا التى أخبرته أن هناك شابا محبا يطلب منها الزواج ، لم تستطيع أليا أن تُخمد نيران قلبها ، وسكتت على مضض ، فهى تعرف أن الزواج هو الحياة ، والزواج بدون حب هو جحيم وسجن جدرانه من بركان .

على طرف المائدة وضعت الطعام لأبيها العجوز ، ثم نادته ليتناوله وحده كما هى عادة أسرتها من قديم الزمن ، هنا قالت له بخوف : ولكنى أريد الزواج يا أبتى!

همس لها يالو : حسنا فى المستقبل نختار لك شابا من عائلة صديقى مجاور .

كتمت أنفاسها وهتفت بعد ذلك : عمرى يجرى ويسمونى هنا " العانس " لذلك أريد الزواج من حبيب ، كما يريد هو الزواج منى .

يالو بنبرة سخرية : عانس وأنت فى السادسة عشر من عمركِ!

انتهى الكلام عند هذه الجملة التى ألمت أليا ووضعت فى قلبها الخوف ، كل نساء القرية يتخذونها سخرية : العانس آتية ، العانس هناك تبكى وهكذا إنهارت نفسية أليا ، فبدأت فى البكاء التراجيدى الأليم.

نامت أليا على وقع الأمطار فى سهول بلدتها التى تقع على حدود أذربيجان مع إيران ، هذه البلدة المغلقة على ساكنيها بعاداتهم التى توارثوها من أجدادهم المخلطين من أجناس مختلفة .

توجهت للعمل فى المزرعة بملابسها الرثة ، ووجهها الملىء بالنمش ، أما عيناها فكاناتا من أجمل العيون التى قد يراها أحد ، فيهما شغف وبراءة قلما تجدهما فى عين فتاة .

انهمكت فى تنظيف المزرعة من الحشائش الضارة ، ثم لمحت وهى منكبة على الأرض ، أطفال القرية يلعبون على الطرف الآخر من البلدة ، ضحكت ضحكات قوية لما تذكرت طفولتها القريبة ، عندما لمس يدها طفل صغير كان يلعب معهم فصدته قائلة : حرام.

هذا الطفل كان يصغرها فلم يفهم ما قالته ، بل صرخ : ما معنى حرام أليا ؟

ردت عليه أليا بغيظ طفولى : لا أعلم لينار أبى أخبرنى بذلك!

لينار بعدم فهم : وماهو ذلك؟

أليا : ألا تفهم لينار ..على الفتاة والولد ألا يلمسا أيدى بعضهما البعض أبدا ..

ثم سكتت وأكملت : ليس قبل الزواج.

لينار وهو يروح ويجىء : ولكنى لا أريد الزواج منكِ!

فقالت وهى مبتعدة : أنت طفل لينار ، الزواج للكبار فقط.

غابت عن الواقع وهى تحوم فى هذه الذكرى ، حتى أفاقت على صوت صاحب المزرعة ينادى : أليا ..هل أنجزتِ العمل المطلوب ؟

أليا بتوتر لاحظه الرجل : نعم ..لا مازلت أعمل على إنهائه سيدى .

التفت حولها وقال : عيناكِ ياجميلة بكنوز هذه الدنيا .

فضحكت بخفة روح : هل تشتريهما سيدى وتعطينى أموالا كثيرة لأصبح غنية .

تغيرت ملامح وجهه لتكتسى الجدية : كونى لي وأعطيكِ أموال هذا العالم.

أطبقت فمها على وقع مُر هذه الكلمات ، لم تدرى ماذا تقول إلا : أنت متزوج فكيف أكون لك؟!

هو : أتركها من أجلكِ أنتِ وعينيكِ الجميلتين ، مارأيكِ ياقمر الأقمار هل توافقين؟

أليا : لاتهدم واقعك لتعيش فى الوهم ، فالحب زنى القلوب سيدى.

تركت العمل وخلعت القفاز بعنف أزعجه ، ثم مضت فى طريقها نحو باب المزرعة ، فذهب ورائها يلهث : إلى أين أليا ؟

أليا : لقد تركت العمل لديك من هذه اللحظة ، الوادع سيدى .

عصف كل شىء بها حتى باحت بوجعها : حبيب.. سأكون لك زوجة ، حتى لو منعتنى التقاليد من ذلك.

أخبرت أباها بما حدث فى المزرعة ، فسُر لطلب صاحب المزرعة الزواج منها ، لكن عندما هتفت : تركت العمل لديه أبى ولن أعود !

ضربها على وجهها صفعة قوية : غبية أليا تركت العمل فى المزرعة ، كيف نعيش الآن بدون أموال !

ضرب المائدة بيده اليسرى فحطمها ومازال الغضب يعتمر صدره الضيق دوما ثم نظر للسماء : ياالله كم هى غبية طفلتى ، لقد أضاعت كل شىء .

أليا : كفى أبى لم أعد أحتمل التأنيب ، فلتذهب للعمل فأنت الرجل ولست أنا !

يالو وهو يمسك بشعرها : لو فى يدى لقتلتكِ وتخصلت منكِ.

أليا : إقتلنى أبى حتى أستريح من هذا الجحيم .

يالو : لا سأزوجكِ كما تريدين ، لكن من شاب أريده لكِ زوجا .

حبيب هناك عند تل الغابة يحن لألبا ، ويريد رؤيتها للمرة الثانية حتى يتوج حبه لها بالزواج ، لكنها لم تمر بعد انتهائها من العمل ، فتركت فى داخله خوفا عليها : ياترى أين أنتِ ألبا ؟

لما تأخر الوقت تآكل قلبه عليها ، فقرر الذهاب لمنزلها حتى يطمئن ، لأنه يشك أنها مريضة ، لما وصل للمنزل وجد الظلام الدامس يلف المكان ، ثم نادى : نصيف بك ..نصيف بك.

صحى يالو على هذا الصوت وفتح باب منزله ، ليجد حبيب بمحاذاته ودار بينهما الآتى :

حبيب : كيف حالك وحال ألبا سيد نصيف ؟

يالو : بخير حبيب وهل قدمت فى هذه الساعة ، لتتفقد أحوالنا ؟!

حبيب : لا سيدى الحقيقة كنت أنتظر ألبا ، لأعرض عليها الزواج من جديد ، وهى لم تأت بعد ، فشعرت بالخوف عليها ، لذا جئت لهنا .

يالو غاضبا : وهل تقابلها فى السر أيضا ، يالك من وقح وعديم أخلاق !

حبيب : لا أنت فهمتنى خطأ ، أنا أحبها لكنى لم أقابلها فى السر ، لقد طلبت يدها للزواج منذ أيام مضت ، ولم يصلنى الرد ، لذا اليوم..

لم يدعه يالو يُكمل كلماته ، بل أمسكه من ياقة قميصه ، وهتف بصوت شق هدوء القرية : أنت أفسدت أخلاق ابنتى ، وجعلت روحها تعرف الصبابة .

على هذا الصراخ اجتمع أهل البلدة كبارهم وصغارهم ، ورأوا يالو يضرب حبيب الذى لم يدافع عن نفسه ، بل تركه يضربه حتى فاضت دماؤه على ملابسه.

ومع تشدد الموقف أخذ أحد رجال القرية حبيب من يد يالو ، فتعارك يالو قائلا : أتركه.. هذا الوغد يستحق الموت ، لانتهاكه شرف منزلى .

هنا وصل أحد قضاة القرية وكان شيخا كبيرا فى السن متزمتا جدا ، وبعد أن رأى الموقف قال بصوته الرفيع : اربطوا هذا الولد بالشجرة .

وطلب مقعدا ليجلس ثم قال : بما أنني أنا أقدم قاضى فى بلدتنا, قررت القصاص لشرف يالو بك نصيف بالآتى : يُحكم على هذا الوضيع بالموت إحراقا مع الفتاة التى وصم شرفها .

لم يهتز جسد حبيب لهذا الحكم القاسى ، بل تحدث : زوجونى إياها فأنا لم أمس جسدها الطاهر ، وهى بريئة من حبى الشريف لها .

خرجت أليا إليهم بعد أن سمعت هذا الحديث ، والدموع فى عينيها : أحرقونا أحياء .

ونظرت لحبيب : حبيب لا تدافع عنى ، بل دافع عنك أنت أردتنى زوجة رغم ذلك يصفونا بالزناة ، وغيرنا يزنى فى السر وهم القضاة !

نظرات القاضى الشرسة لها استرعت إنتباه حبيب الذى ظل مدافعا : أقسم لكم إنا أبرياء ، هذا الفعل المُحرم لم نفعله ، فهى النقية وأنا الضحية .

لا أحد كان ينصت له ، بل تم توثيقه بالشجرة جيدا ، وفى الناحية الأخرى تم توثيق أليا ، ثم جاءوا بالحطب وبدأوا فى إشعال النيران حولهما.

همست أليا : أحبك حبيب من كل قلبى .

ثم صرخت : أزوجك حبيب نفسى وأتقبلك زوجا لى.

فأمسكت راحة يده رغم ألمها النفسى الشديد ، فبسط حبيب يده وتمسك بيدها جيدا هاتفا : أقبلكِ زوجة لى أليا.

مع تصاعد الدخان سعلت أليا بشدة ،وكتم حبيب أنفاسه ببطء أوجعه ، تعالت النيران حولهما حتى أتت عليهما فى ذات الوقت ، وماتا معا عاشقين أبرياء لم يرتكبا جرم سوى أن الزواج كان حلمهما الوحيد.

تمت

قلبى يحبك ولكن

أنهت صفية إمتحانات الجامعة فى أوائل شهر يوليو ، ومع إشتداد الحر قررت عائلتها الذهاب للمصيف ، هذه السنة ذهبوا لشرم الشيخ ، كنوع من التغيير بدل العين السخنة .

من نافذة السيارة أخذت صفية تفكر فى عبد العزيز جارهم الوسيم ، الذى مال قلبه لها وأمال قلبها إليه ، منذ الصيف الماضى عندما تقابلت الأعين فى بهو العمارة الفخمة التى تقع فى المعادى ، كان يميل بعينيه كما تميل الورقة تحت تأثير العاصفة ، ابتسم لها فخجلت ثم ذهبت فى طريقها.

توالت الأيام هكذا بين نظرات منه وخجل منها ، وفى يوم من هذه الأيام اقترب منها هامسا : أحبكِ..يامجهولة الإسم ، أخبرينى إسمك وداوى قلبى الملهوف للقائك ياحبى.

صفية بإبتسامة مقتبضة وحمرة الخجل تزين وجهها الرفيع : اسمى صفية.

عبدالعزيز : أما أنا ف عبد العزيز جاركم ياصفية قلبى المختارة.

جاء الليل واشتاق عبدالله لرؤية صفية فأخذه الحنين لطرقات شارعهم ، نزل لإستنشاق الهواء فى ليل رطب ، وهبوب رياح خفيفة ، حدث نفسه : أحبها ولا أراها كثيرا ، ياترى هل تحبنى وتشعربنبضاتى التى تحن لها.

مثلت صورتها أمام عينيه وهو يتهادى فى طريقه ، صفية ذات الشعر الأسود وخصلات بُنية اللون تمتزج معه ، ووجهها الرفيع الأسمر ، كأنها ملكة فرعونية متوجة ، تقبع جالسة على عرش ملكها فى أوج سلطانه.

هطلت الأمطار الخفيفة عليه وأخذ يهرول ناحية الرصيف ليحتمى به قائلا : عندما تذكرتكِ صفية هطلت أمطار قلبى شوقا لكِ حبيبتى.

ركض عبد العزيز على الرصيف بتمايل يليق بمرونة جسده الرشيق وهو يغنى : وحبيبتى هناك تنافس القمر ، حتى وهى تغطى وجهها بستار ، لاتخجلى حبيبتى يامن تشبهين القمر ، فحبيبك هنا تحت المطر.

من الشرفة تطلعت صفية للأمطار ، عندها كانت تكتب خواطرها التى أنهتها بكلمة : وهل يغادر قلبى هذا الفارس ؟ ليكون لقلب أخرى أسير؟

شهر فى هُيام وغرام وعشق بالأعين والنظرات والهمسات ، من بعيد لبعيد ، حتى إبتعد عنها عبدالعزيز ولم يعد حتى يقول لها : صباحكِ جورى حبيبتى .

فى شرفة منزلها كانت تنتظره بالساعات وفى يدها باقة الياسمين ، تستنشقها وتحن له ، فتأمل أن تراه ويتغزل قلبها فى ملامحه ، لكن الوقت يمر دون توقف وهذا الحبيب لا يظهر إلا من وراء حجاب ، كأنه يتحدى حبها بقول واحد : لن ترينى بعد الآن ، فقد حان وقت الوداع!

أرسلت صفية سلامات براحة اليد ودمعاتها على الخد ، ولما رأته يحكم إغلاق النافذة ، تبعثر قلبها على شريط الأيام.

تخلص عبد العزيز من توتره بعد أن أغلق النافذة ، وظهرت نبرة سعادة بسيطة وحدث نفسه : لم يعد لصفية مكان فى القلب ، وعلىّ أن لا أورطها بالحب أكثر من هذا .

لمح قبلتها له فى الهواء فتكدر وجهه نادما على هذا الحب الذى تسرع فيه ووضع يده قرب قلبه : نادين هى حبيبتى ، وأنتِ صفية مجرد ذكرى عابرة فى دفتر أيامى.

حاولت أن تلتقيه فى البهو كالعادة لكنه كان يتهرب منها ، ويتجه بوجهه للناحية الأخرى كما لو كان لايعرفها ، ولم يحبها قلبه فى يوم من الأيام

وآخر مرة قال لها : صفية ..لم يعد قلبى يحبك صدقينى ، لن أخادعكِ وأقول أن هواكِ فى قلبى ، بل كنت وما مضى قد مضى.

نهرته صفية : حتى فى الحب ياعبدالعزيز ؟!

يقول عبد العزيز وهو مبتعد : فى كل شىء عزيزتى ، فالحياة تمضى والمشاعر تتبدل!

و فى صبيحة يوم العيد رأته يسير خلف نادين ويضحك هاتفا: أحبك نادين ..أحبك بحجم بُعد السماء عن الأرض.

هذه الذكريات أضحكتها وأبكتها لدرجة أن دموعها سالت ، و فاضت على حجاب رأسها الذى ارتدته منذ أيام قليلة مضت ، مسحت صفية دموعها بمنديل ورقى معطر ، ثم تنهدت وفى سرها قالت : أواه ياحبيبى يامن فارقته رغم حبى ، قلبى يحبك ولكن قلبك يحب أخرى ، فكيف أكون لك وأنت لأخرى.

بصوت شجى غنت :

أدمع باكية على حب مضى

قسوة خداع لقلبى الذى اكتوى

يُخادعنى وأنا الحبيبة

ويلاطف غيرى وتكون له قريبة

يا قلب لا تميل لهواه

ودعه بين جنبات النسيان

ليكون ذكرى تنسيك الاشتياق

بعد ما فارقتنى بأليم الفراق

فى المعادى تعالت ضحكات عبد العزيز مع زوجته نادين ، التى توقفت عن الضحك فجأة ، وسألته : ما أغرب هذا الحب يازوجى الحبيب ، إنه قربنى منك وأنت كنت أبعد الناس عنى ، فأصبحت الآن أقربهم لقلبى وروحى.

هنا تأزم قلب عبدالعزيز عندما تذكر حبه لصفية أو الذى كان يعتقده كذلك ، وتنهد بكل قوة : هكذا هى الحياة نادين ، نرى الحب ونعيشه كل يوم ،وفجأة نكتشف إنه ليس الحب الحقيقى ، بل علينا أن نبحث عن حبنا بقلوبنا وعقولنا حتى نجده أو يجدنا!

رسمت آمال أخت صفية صورة قلب على رمال الشاطىء بخفة ومهارة ، ثم وضعت حرفها وحرف زوجها فى منتصف القلب تماما ، ونظرت لبعيد فوجدت صفية فى المنزل بشعرها شاردة وواجمة ، مما أربك آمال التى تمردت على صمتها قائلة : مسكينة صفية أنتِ وقلبكِ الذى تحطم بسبب مختل يدعى الحب.

إرتدت صفية الحجاب وركضت نحو البحر متخطية آمال وغير عابئة بها ، وكل مايدور فى خلدها الآن : لو سبحت فى البحر هل تموت ذكرى حبيبى؟

هناك على شاطىء البحر وقفت صفية تناجى البحر بلوعة المنُهزم ، الذى يخوض معركته رغم جرحه النافذ : أميل إلى موجاتك فى الليل وإلى هدوء دقاتك يابحر ، هل رأيت حبيبى الذى خان حبى وباع قلبى بثمن بخس ، لو رأيته أخبره أن قلبى مات من بعده ، ولعُن حبه ودفن سره فى غياهب من حديد ونار ، وذكرياته أصبحت حطام على مرسى قلبى .

تمت

دموع على وجنة الأيام

بين رفوف الكتب جلس بهير يحتسى كوب من الشاى الأخضر بنكهة التفاح ، وفكر فى البحث الذى لم ينهيه بعد توقف دام أشهر ، رقد فيها على فراش الحزن بعد موت زوجته فى حادثة على الطريق الصحروای بين القاهرة والأسكندرية ، بعد الحادث عاد بهير للأسكندرية وهو يكاد يجن ، تألم قلبه لأنه رآها تموت أمامه ولم يستطع فعل شىء.

عادت هذه الذكريات لتعكر صفو حياته من جديد ، ومن فرط حزنه أوقع كوب الشاى من يده على أوراق البحث ، ثم قال بصوت خفيض : مجهود بحث شهور متوالية ضاع هكذا !

مسح على الورق برفق وأزاح الكوب للناحية الأخرى من مكتبه ، فى هذه الأثناء دخل عليه أخيه الأصغر فادى : بهير صباح الخير.

بهير بهدوء : صباح الخير فادى ..هل أنت ذاهب للجامعة؟

فادى : لا بهير جئت لأخبرك أن أصدقائى وأنا سوف نذهب فى رحلة إلى مطروح ، ما رأيك فى أن تأتى معنا؟

بهير بتفكير : لا أدرى فادى أنت تعلم أن لدى عمل لم أنجزه بعد وفاة هناء, أعطنى الوقت فقط لأدبر أمورى.

ذهب فادى وأغلق الباب وراءه ليترك بهير فى محيط من الأفكار والذكريات المتضاربة ، حيث تمثلت صورة هناء أمامه بشعرها الذهبى وملامحها الهادئة ، إقترب بهير من مكتبه واضعا يده على عينيه وبإشتياق هتف : اشتقت هناء لكِ ، ماذا أفعل فى ذكرياتكِ التى لا تموت؟

غادر مكتب منزله إلى عمله فى إدارة البحث الجنائى ، ليضع ما أنقذه من بقايا بحثه عن القاتل المأجور السيكوباتى ، الذى قتل حوالى عشرين شخص فى أربعة أشهر فقط .

عندما وجد التراب يغطى المكتب تضايق ونادى على العامل بغضب : عم حمدى ..عم حمدى.

جاء عم حمدى مسرعا وكان فى الخمسين من عمره أصلع الرأس ، نحيف الجسد والوجه ، قائل بصوت مشوش : أنا موجود باحثنا الكبير ، أهناك شيئا ما ؟!

أشار بهير وقال بإقتضاب : التراب عم حمدى يملأ المكتب !

تلعثم حمدى وهو يمسح ذرات الغبار بقماشة رمادية اللون : آسف كنت مريض ولم أنظف المكتب.

ابتسم بهير : لا عليك عم حمدى ، من فضلك أريد كوب من القهوة .

أكمل بهير البحث فى هذا اليوم ، وفى اليوم التالى أخبر فادى أنه سيذهب معه إلى الرحلة ، فى غرفته الخاصة مكث على طرف السرير الوثير ، وأمسك صورة هناء وضحك : حبيبتى تصبحى على خير ياعمرى.

عاد بذكرياته لسنة مضت عندما تزوجا فى الشتاء ، وكانت فرحة هناء لا توصف ووضعت يدها على قلبه : حبيبى بهير أنا سعيدة ، أشعر أن قلبى سيقفز من ضلوعى.

هزت هذه الذكريات هدوء بهير وتذكر حبه الذى يمتلكه ، وضع صورتها جانبا لكن صورتها فى قلبه لم تغيب .

بكى بصمت وسالت دموعه على وجنة الأيام ، أتعبه أن سعادته غادرت الحياة بعد هناء ، لوعة فى قلبه عندما يتذكر لمساتها الحانية وضحكاتها الشافية.

تذكر حضنها الأخير له وهى تصارع الموت بوجع شديد : بهير لا تنسانى ولا تدع سعادتك تغيب عنك من بعدى ، أنت حبيبى وزوجى وأقولك لك قبل موتى ، أنى لم أحب غيرك وأموت وأنا سعيدة لأنك لم تتركنى يوما....فسقطت دموعه وانهار باكيا : هناء لا تتركينى ..مازلت بحاجة لكِ.

وأشرقت شمس اليوم التالى وهو على هذه الحالة من بكاء وألم.

فتقطعت سُبل قلبه بين حبه الميت وقلبه الذى أصبح على وشك الموت!

تمت

أنعود لأنقرة

فى شتاء هذا العام تألقت الأقصر وازدحمت بالسياح القادمين من أنحاء العالم ، هناك تحت شمس الأقصر وقفت آنِلْ مع زوجها عصمت تتطلع للفضاء الواسع ، حيث تمكث الآثار بشموخها الأخاذ ، وصلوا من أنقرة من أسبوع مضى ، حيث وصلوا مطار القاهرة لأجل زيارة مصر فى رحلة قصيرة كعادتهم كل عامين ، بعد زواج دام سبعة سنوات ، وإنجاب طفلة صغيرة وحيدة أسمياها مليكة ، وكانت قسماتها جميلة كأمها وأخلاقها هادئة كأبيها.

صعدت آنل درجات سلم فندق هيو ست الأقصر بهدوء يليق بأميرة ، يتبعها زوجها وهو ممسك بحقيبة صغيرة بيضاء .

فى إستراحة الغذاء فى الدور السفلى من هذا الفندق العريق ، لمح عصمت فتاة سمراء تتجاوز عينيه ، فتبعها ببصره حتى اختفت من أمامه ، لاحظت آنل شروده فهمست وهى تأخذ بيده : مابك عصمت؟

خرج عصمت من شروده ومسح على شعره الأشقر ثم قال : لاشىء آنل إنها مجرد خواطر تدور فى عقلى.

آنل وهى ترفع يدها تجاه وجهها : الجو هنا حار قليلا عزيزى ، لما لا يستعملون مكيف الهواء!

هنا نظر عصمت على زوجته فوجدها تتعرق ، وكانت حبات العرق على آنل تشبه قطرات الندى فى الصباح الباكر.

مال عصمت بجسده نحو آنل وهو يمسح العرق من على وجهها البيضاوى بمنديل أبيض مُزين بوردة بنفسجية من ورد بلاد الأناضول ، وهذا المنديل هو هدية والدته الجازية لزوجته فى يوم الزفاف.

آنل بسعادة : عصمت أمازلت تحمل هذا المنديل ، له ذكريات طيبة فى قلبى.

عصمت وهو يمسك بيدها: وفى قلبى يحمل كل ذكرى جميلة ويكفى أن أستنشق عطر أنفاسكِ منه .

خجلت آنل من غزل عصمت وتوردت وجنتاها وقالت فجأة : ما رأيك فى نزهة قبل مغيب الشمس عزيز روحى.

لم يرد عليها عصمت بل أشار للنادل الذى أتى مسرعا ، وبعد التفاهم بلغة إنجليزية ركيكة ، وضع عصمت الحساب على الطاولة ، وأخذ زوجته وغادر الفندق إلى حيث الشمس والآثار والبشر والنيل الذى يقبع هناك مبتسما.

أمام كورنيش الأقصر وقف عصمت يتطلع للنيل والمراكب الصغيرة ، وشده الفتية الصغار الذين يضحكون ويلعبون على هذه المراكب المتهادية على ضفاف النيل السعيد ، مضى عصمت فى طريقه مع آنل حتى وصلوا لمرسى المراكب وبخطوات بطيئة صعدت آنل على المركب التى أسماها صاحبها " عروس الأقصر" ، وخلفها زوجها الذى سندها بيده ، عندما جلسوا فى الداخل تحت المظلة ، ذهب وجل آنل وإبتسمت ، فربت عصمت على كتفها محدثا إياها : رحلة نيلية سعيدة آنل.

مالت تجاه عصمت وبلغة أنيقة : شكرا حبيبى ، أنا سعيدة للغاية لكوننا هنا بين أحضان هذا النهر الجميل.

على صفحات النيل إنعكس ضوء الشمس ، فأشع الضوء النيل وأبرز جماله ، كان بين إرهافها السمع لصوت الطيور المُحلقة على مقربة منهم وسعادتها خط رفيع جعلها كراقصة بالية متفردة بروعة أدائها ، رغم جرح قدمها ، فتتراقص على حلبة المسرح برشاقة الفراشات .

فى دقيقة قامت آنل للناحية الأخرى من المركب ، ووضعت يدها على سطح الماء بنعومة غارت لها المياة وضحكت لها الشمس الساطعة ، ثم رجعت آنل للخلف وأدارت رأسها لتحدث عصمت : حبيبى أريد أن تلتقط لى صورة هنا .

بعد أن التقط لها الصورة المبتسمة بالهاتف الجوال ، أكمل المركب طريقه فى النيل وسط ضحكات وهمسات ركابه ، عدلت آنل صورة إبنتها فى حافظة نقودها ثم قبلتها قائلة : اشتقت لكِ زهرتى الصغيرة.

وصل المركب للمحطة الأخيرة فنزلت جموع السياح الواحد تلو الآخر ومنهم جيمس ونلوود وزوجته إيمى وهما من إنجلترا ، وآخرهم كان عصمت وآنل.

عند معبد الكرنك وقفت المرشدة السياحية ناهد تشرح تاريخ المعبد للسياح ، أما آنل فتطلعت للبهو وأعمدته الشامخة على جدار الزمن والأيام.

وتخليت آنل نفسها ملكة فرعونية متوجة تمشى فى طريق الكباش بفخر وسط حاشيتها ، حتى تصل للمعبد من الداخل وهى تمسك بيد ملكها الوسيم.

وسط هذا الجو الجميل رأى عصمت نفس الفتاة تجوب المكان وهى تمسك دفتر رسم متوسط الحجم ، فإبتسم لها عصمت وذهب وراءها .

وعندما رأته حدثته باللغة العربية : من أنت ؟ ولما تتبعنى؟!

لم يرد عليها عصمت فورا بل تأملها طويلا و بإنجليزية ضعيفة سألها : ما اسمك؟ وهل تسكنين هنا؟

هدير بإنجليزية غاضبة : ولما تسأل أيها الغريب ؟ هل ضاع طريقك؟ أم غلبك الهوى !

ضحك عصمت ضحكات متتالية : لا فقط أنتِ تشبيهين نادية حبيبتى ، و ما أجملكِ وأنت تقفين هنا بحضرة آثار بلادكِ الرائعة.

أطرقت هدير رأسها ولم تبادله الكلام ، هنا إقتربت منهما آنل محدثة إياه : عصمت هل هناك شيئا ما !

أشار إلى هدير وقال عصمت : آنل إنها تشبه نادية ، أتتذكريها؟

آنل وهى تتفحص وجه هدير : ياإلهى صحيح كأنها هى فعلا !

وتعارف الجميع فى بهو معبد الكرنك ، وأصبحت هدير مرشدة سياحية لهما ، فأخبرتهما بالعديد من الحقائق التى يجهلانها تماما.

بعد هذه الجولة عادا للفندق وكانت آنل متعبة ومُرهقة ، فجلست على المقعد وهى تتنهد : ما أجمل هذه الرحلة عصمت ليتنا نقيم بمصر دائما...

عصمت بإبتسامة موجزة : وهل تترك مليكة وحدها بأنقرة عزيزتى؟

آنل : لا عصمت ، أتهزأ بكلامى أنا جادة جدا .

وبلمحة غيرة نسائية قالت : وبالمناسبة ماالذى ذكرك بنادية بعد هذه السنوات!

التفت لها عصمت بعد أن شعر بغيرتها : هدير ذكرتنى بها .

آنل : وهل مازلت تحبها ، أخبرنى لعل قلبى يرتاح .

عصمت بهدوء : نادية حبى القديم كما تعلمين كما أخبرتكِ وأنتِ رأيتِ صورتها الوحيدة التى أمتلكها ، من أيام دراستنا معا فى جامعة أنقرة لإدارة الأعمال ، وكان هذا فى الماضى .

نامت الأعين فى الليل المظلم ولم ينم القلب ، فى الصباح الباكر إستيقظت آنل مبكرة على عادتها لتجد عصمت جالسا أمامها فقالت : صباح الخير حبيبى ، لم الإستيقاظ مبكرا !

عصمت بأسى: لنذهب فى نزهة آنل فإن قلبى مُختنق هنا .

آنل والصمت يهتز على شفتيها : فى هذا الصباح الباكر ، إنها السابعة وخمس دقائق!

وإقتربت منه وبنظرات حانية أحاطت قلبه : أتشتاق لنادية إلى هذا الحد عصمت ، اللعنة على هذا الحب الذى يبكيك ، لم تزوجتنى وأنت تحبها ؟

تركوا الفندق وذهبوا فى طريقهم إلى معبد الرامسيوم ، وتأنقت آنل بفستان وردى لايكشف منها إلا يدها الصغيرة ، أما عصمت فارتدى بنطال رمادى و قميص أبيض بخطوط سوداء ، كانت الساعة تشير للثامنة والنصف صباحا عندما وقفا فى منتصف المعبد فى جولة سياحية حرة.

أمام تمثال رمسيس الثانى إستندت آنل والعرق يتصبب منها ، ثم رفعت عينيها للشمس وهتفت : الجو حار جدا وكأن الساعة تشير للثانية ظهرا ، أليس كذلك؟

أثناء حديثهما سمعا المرشد السياحى يقول باللغة الإنجليزية : قصر ملايين السنين.

فقطعا الحديث مؤقتا ليُكمل عصمت : آنل ما رأيك لو ننهى هذه الجولة مبكرا ونذهب للكورنيش حيث النيل البديع؟

عند الكورنيش دارت آنل حول نفسها فرحة بهذا الجو الفريد ، وعصمت ترك نفسه للهواء الساخن ، والذكريات الماحقة عن حبه القديم لنادية تلك الفتاة المصرية التى كانت تدرس فى أنقرة منذ خمسة عشر عاما ، وفُتن بها عصمت وأحبها ، لكنه فقدها عندما سافرت ولم تعد من السفر.

ومن طريق الكورنيش للفندق مسافة قريبة ، فقرر عصمت المضى فى هذا الطريق مشيا على الأقدام ، وتصاعد الدم فى رأسه عندما لمح طيف هدير يمر من أمامه ، فأغلق عينيه ثم فتحهما من جديد

وبحث عنها ولم يجدها بل وجد آنل تبتسم له بثغر يشبه حبات التفاح اللبنانى.

عند إنتصاف عصر هذا اليوم ، سألته آنل بلهجة واثقة : أين موقعى فى حياتك عصمت ، أأنا زوجة لك فقط؟!

هنا استدار عصمت وغنى بصوته الرخيم : وحبيبتى الأناضولية وردة عطرة ..تفوح من شفتيها عطور ذكية، قبلينى حبيبتى ولاتُخفى عنى حبكِ ، لكِ قلبى وعيونى تحبكِ.

ثم حضنها بقوة وهتف : آنل أنعود لأنقرة حبيبتى؟

تمت

مجون قسوة

هناك عند محطة بنها وقف حمزة ينتظر قطار القاهرة ليعود لمنزله بعد أن زار عمته الوحيدة ، اعتاد حمزة زيارة عمته كل عام والمكوث عندها ثلاثة أيام فى اجازته الصيفية. بعد وفاة أمه لم يتبق له إلا عمته تفيدة التى تنتظر زيارته هذه كل عام .

جاء القطار يتهادى على خطوط السكة الحديد ، وكان القطار قديما يعلوه الغبار والصدأ فى بعض الأماكن ، ومع توقف القطار حمل حمزة حقيبته السوداء فى يده اليسرى ، وصعد للقطار مسرع الخطى .

نظر حوله فى القطار المزدحم ، فتشنجت أواصره لهذا الإزدحام رغم إعتياده له ، نظر لتذكرة السفر فوجد رقم المقعد 15 فى العربة رقم واحد ، فبحث عنه بين المقاعد المتناثرة فى القطار ، عندما وصل له وجد سيدة تحتل المقعد ، اقترب من المقعد وبوجه بشوش قال لها : سيدتى هذا مقعدى من فضلكِ!

لم تنظر له السيدة إنما أطلقت تنهيدة قوية وبصوت عال:

-فلتجلس فى أى مكان ، والمقاعد متوفرة بكثرة هنا.

لم يجادلها حمزة وذلك لأنه يسير على مبدأ ترك الجدال خشية الوقوع فى جريمة الفهم الخاطىء ، لذا جلس على أقرب مقعد له وهو يهمهم : استغفر الله العظيم .

ومن النافذة تطلع حمزة على المكان من حوله ، حيث الزرع والناس التى تموج من هنا لهناك كموج البحر ، رأى فى إحداهما أمه التى فقدها منذ وقت بعيد ، فزفرت نفسه حزنا عليها.

تحرك القطار وصوته يشق عنان السماء ، وأزيز حركاته تداعب قلب حمزة ، الذى عاد بذكرياته لسنوات مضت ، بين ألم مقيم فى خفايا الروح وحب لم يفارقه حتى اللحظة .

منذ سنوات مضت وهو يخبىء حبا كبيرا فى قلبه لزينة ، كلما مر الوقت إزداد حبه ، رغم كونها ترفض الزواج منه لأنه يكبرها بخمسة سنوات وتقول بغضب : لا لن أتزوجه أبدا ، أتزوجونى كبيرا فى السن !

على أعتاب القاهرة تهيأ حمزة ووضع حقيبته أمام قدمه ، وعيونه على باب القطار الذى تكدس أمامه الناس بمختلف طوائفهم ، خرج وأفكاره مبعثره وصورتها تداعب خياله .

عند منزله لمح صديقتها تسير فى الطريق مع زوجها ، فتردد فى السؤال عنها واكتفى بإبتسامة لهم ثم أكمل طريقه نحو شقته فى الطابق الخامس من العمارة التى يمتلكها والده منذ ثلاثين عاما.

حطام أنا منكسر

مهزوم وقلبى عن الحياة منحسر

لى كل ألم عذاب يهتك روحى

لا أنام من بعدكِ وأتوجع سرا

حياتى بدونكِ فراغ والليل بصورتكِ ضياء

حبيبتى فلم التكبر على قلبى

وهجرانه مبكرا قبل اللقاء؟

مازلت أنتظر بلوعة وأموت إشتياقا

يا نبع الحُب وروح الفؤاد

هكذا ردد حمزة هذا الرجاء والشوق قاتله ،فكان يتدثر جيدا فى فراشه ، والساعة وقتها كانت تتجاوز الثانية بعد منتصف الليل.

مرت الساعة وهو فى أشجانه حتى سمع صوت المؤذن الجميل ، فقام ليصلى الفجر حاضرا ودموع قلبه تسيل على بساط الذكريات.

.....

انتهت زينة من تناول طعام الإفطار ، وكانت على موعد مع صديقتها من أجل مشروع خيرى جديد ، فى دار لإيواء الأطفال اليتامى ، هذا العمل التطوعى جعل من زينة فتاة مستقلة ذات إرادة حرة ، أيضا وسع مداركها فى هذه الحياة ، ومن هنا رفضت الزواج من حمزة ، لإنها لم ترى فيه زوجا يليق بها ، فعندما تمر عليها هذه الذكرى تهتف : كلا لم أخطىء فحمزة ليس مثاليا لى .

فى المقر التطوعى لشباب العجوزة إستندت زينة على طرف مكتبها ، وهى تعبث فى الأوراق الخاصة بالعمل بنصف تركيز ، حيث خيم على عقلها ظل حياتها الشخصية الذى أورثها العصبية المطلقة ، ظلت تقرأ الكلمات وهتفت : هناك شيئ ما هنا؟ دار اليتامى هذه غير مدرجة من قبل؟!

جاءت ناهد من بعيد وعقبت : لا هذه الدار مُدرجة من فترة ولكنكِ لم تكونى هنا فى ذاك الوقت.

زينة بتمرد : يبدو أن بعض الأعمال تُدار من ورائى ناهد ، أليس كذلك؟

ناهد ضاحكة : هذا أكيد بالطبع ، هيا بنا لدار يتامى الشرق ، لنلحق بموعدنا هناك.

عادت هيام يوسف لمصر بعد جولة عالمية لها ، وهى مصممة الأزياء المصرية الوحيدة التى تشارك فى بيوت الأزياء الإيطالية بتصاميمها الفريدة ، مرهقة كعادتها عندما تعود من سفر وعمل يأخذ وقتها ويؤلم جسدها الرفيع. حلمها الزواج من رجل يحبها هى بضعفها مع نفسها وقوتها أمام الناس ، لم تجد هذا الرجل فى طريق حياتها ، هيام ذات

الخمسة وثلاثين عاما ، كل ليلة تبكى قائلة : أترانى أموت وحيدة ولا أجد من يلمس قلبى !

إقترب عيد الأضحى ومع مجيئه إستعد حمزة لطلب يد زينة من جديد ، ولكنها رفضت للمرة الثالثة على التوالى ، فركض قلبه خلف الأوجاع ، وتسرب الهدوء من خفايا روحه ، وأعلن وهو يروح جيئة وذهابا فى شقته : سأتمرد على حبكِ زينة ، لن أبالى بكِ بعد هذا الجرح الأليم.

فاتت أيام العيد عليه كئيبة ، فهو لم يأكل كثيرا حتى أنه عشق السهر وأدمن الشدو الحزين ، وفى آخر يوم فى العيد ، أخذ يغنى : حبيبة غادرة ..ألمتنى ضحكاتها القاسية..غادرتنى بساماتها الزاهية..

أخبرى قلبى لم ؟

هل الفراق يليق بى؟

أم أنكِ تحبين غيرى يا غادرة؟

قلبى معلق بكِ كالورد بزهره...

ثم تخيلها تُمسك يده وفستانها الأبيض يتألق على جسدها الرشيق ، فإنهمرت دموعه وسكت لكن الذكرى لم تسكت عنه.

فى شتاء العام الذى يليه التقى حمزة هيام صدفة فى مقر شركتها " النبيلة لتصميم الأزياء" ، حيث ذهب لحضور عرض أزياء شتاء 2019 ،وتعلقت عيناه بها وبإختلاف شخصيتها عمن حولها ، تشجع قائلا :

-أزياؤك سيدتى راقية .

فبادرته هيام بتحية : شكـرا لك سيدى.

لم يتكلما بعد ذلك لكن إشارات الأعين فاضت على جبين الإعجاب بينهما. فى ختام هذه الأمسية لم يحاول حمزة تجنب هيام بل سعى

دائما ليكون قريبا منها ، وهى لاحظت لك ، فقفز قلبها كأنه طفل صغير أهداه أبواه لعبة جديدة.

أطبق حمزة عينيه وأخذ يقارن بين زينة الجاحدة وهذه الفتاة التى لفتت أنظاره البارحة ، فصمم على التقرب منها ومن قلبها لعلها تكون له زوجة ، ليبرأ جرح قلبه وعقله المُنتهك من حبه القديم.

تكررت مقابلاتهم فى شركتها, أيام تمر والقلب بالقلب موصل ، حتى اندمجت الأرواح ، وأخبرها حمزة : تزوجينى هيام.

لم تبارح هذه الكلمة خيال هيام ، تراه مختلفا عن باقى من تقدموا لها ، وفرق السن ليس بكبير فهى أكبر منه بثلاثة سنوات ، وأخبرته فضحك بارتياح قائلا : ومتى كان السن عائقا أمام الزواج ، هذا فى قاموس المخادعين فى الحب فقط!

تزوجا فى صيف نفس العام على أنغام شوق وذكريات لا تموت ، عانت هيام فى أول الزفاف من تعنت حمزة وقسوته غير المبررة ، فهى لم تعرف أنه كان يُحب أخرى قبلها ، وكيف تعرف هى كل ذلك والقلب مهجة والمشاعر خافية؟ ولأنها قوية أخفت حزنها ولم تقسو عليه وهتفت من قلبها : لعل قلبه يتغير فى يوم من الأيام!

رقت لحاله وفى لحظة إستياء منها سألته : لم قسوتك حبيبى؟

فرد حمزة : حتى لاتذهبين عنى أنتِ وتتركين قلبى للضياع.

نهرته هيام: وهل قسوتك ستقربنى منك؟ أنا صبورة لأجل حبى لك ، وإلا كنت تركتك منذ زمن !

تشاجر معها حمزة ، وعندها ظهرت قوة شخصيتها وجادلته بكلمات قاسية ، فانهال على جسدها ضربا ، ولكمها على وجهها حتى سقطت على الأرض من قوة الضربة .

تأوهت هيام بشدة هاتفة : وغد حقير أنت ، تضربنى لأنى أحبك ، ستدفع ثمن ذلك .

ثم وضعت راحة يدها على وجهها وبنبرة حادة :أقسم لك .

خرج حمزة بغضب من غرفة النوم ، وأغلق باب الشقة بعنف ، جعل هيام تُصعق فى مكانها وتلعن الحب والزواج فى نفس الوقت.

علمت زينة بأمر زواج حمزة ففرحت وعندما تقابلا فجأة هنأته : مبروك زواجك حمزة أسعدك الله.

نظر لها حمزة بلا مبالاة ورد عليها : شكرا زينة.

ثم مضى فى طريقه لاينظر خلفه ولم تحاول زينة إيقافه ، لكنها ذهبت هى الأخرى والحيرة تضرب أعماق روحها.

عالجت هيام جروح وجهها والألم يساورها ، أيقظ الغضب بداخلها بركانا لايهدأ ، كل ذرة فى جسدها كانت تصرخ : أمقت هذا الجبان .

هيام المصابة والقوية فى ذات الوقت ، روادتها الأفكار ، وعزمت على أن تطرده من حياتها ، ولملمت ملابسه فى حقيبة واحدة ، ثم ألقتها فى بهو الصالة فى الظلام الذى كان يلف المكان.

عاد حمزة للمنزل ورأى الحقيبة فتبدل حاله للغضب الكبير ، ودارت مشاحنة كبرى بينه وبين هيام ، فتحولت من مشاحنة كلامية عنيفة لشجار ، حيث أمسك حمزة برأس هاجر وشجه ، مما أسال دماءها وأغرقها فى وجع أرعب حمزة ، فحاول إيقاف الدماء لكنه فشل ، فصرخ : هيام.. هيام أنا أحبكِ ولا أطيق فراقكِ ، لاتموتى حبيبتى .

فارقت هيام الحياة والدموع فى عينيها, ماتت متألمة وغاضبة منه ، أما حمزة فترك جثة هيام جانبا ، والصدمة لم تبارح روحه ، وعقله توقف إلا لسانه الذى نطق : أنا مجرم.

فى قسم الشرطة وبعد التحقيقات عرفوا أن حمزة مصاب بمرض نفسى ، ومازال يتعالج وقد أخفى مرضه عن الجميع حتى عن عمته!

لما اختلى حمزة بنفسه لم يبك بل ضحك بقوة خاف منها من حوله ، وبنظرات مجنون نظر للجميع قائلا : أحبها وقتلتها حتى لا تتركنى !

وشد شعر رأسه وذكرياته تهيم به ، وتحرك بجسده فى الغرفة الخالية إلا من خمسة مقاعد ، فدارت به الدنيا كما دار به جنونه ، ثم جلس يتنهد بلا وعى : الحب قتلنى ومرضى النفسى قضى علىّ.

تمت

هتافات صامتة

" عندما يحل كابوس الوهم على الحب فإنه يطعنه فى مقتل ، ويستبيح حرمات مشاعره النبيلة"

بهذه الكلمات أنهى الدكتور زاهى الربيعات محاضرته عن الحب وألوانه ، وكان زاهى يدرس الفنون والآداب فى أكاديمية بيروت للآداب ، منذ عشرة سنوات وهو يُدرس هنا ، بعد انتقاله من جامعة طرابلس ، بعد خلافه الإدارى مع مدير هذه الجامعة.

زاهى على مشارف الأربعين من عمره ، وخطيب الكاتبة الصحفية ياسمين سلام التى تعتنى بشئون المرأة بالكتابة ، والنضال فى المحافل المختلفة.

ياسمين تصغره بسبعة سنوات كاملة ، وتحبه رغم ذلك لم تقول له " أحبك" أبدا فى السر أو العلن ، وهذا ماجعله يصفها بينه وبين نفسه بالباردة!

مازال زاهى خطيبا لها ، وهذا التباعد فى المشاعر سببه خجل ياسمين وإنطواؤها وهذا ما لم يفهمه زاهى ، فى شارع الجمهورية أوقفت ياسمين سيارتها قديمة الطراز ، أمام صحيفة النهار التى تعمل بها ، ثم سمعت صوت هاتفها النقال يدوى بالقرب منها ، فحملته بين يديها الصغيرتين وأجابت على إتصال زاهى : ألو زاهى .

زاهى : ألو ياسمين ، ما رأيكِ لو نتقابل اليوم فى مكاننا المعتاد حبيبتى؟

ياسمين : ، بعد انتهائى من عمل اليوم فى الساعة الخامسة مساءا نتقابل زاهى.

على بُعد خطوات من منزله ، وضع زاهى هاتفه الجوال بعد هذا الإتصال وهو يكابد شوقه لخطيبته : ياسمينة قلبى أحبكِ ، لكنكِ باردة كثلوج أمريكا تماما حبيبتى !

فى المساء وتحت سماء بيروت إلتقى هذان القلبان ، فى المكان الذى عرف كلامهما وسرهما ، جاءت ياسمين مع أختها رانية كالعادة ، حيث جلست بجوار ياسمين على الطاولة رخامية الشكل.

دارت عيون زاهى حول المكان ، ثم التقط أنفاسه التى عبقت بعطور الورد ، فهدأت نفسه قليلا ، ثم صعدت أنفاسه لما نظرت له ياسمين بعينيها الرماديتين الجمليتين ، اللاتى طالما انبهر بهما زاهى ، وكتب فيهما كثيرا :

عيناها هذه الخجول أربكتنى

وظلال حبها عن أحزانى أقعدتنى

ولا عن عشق نبضها أبعدتنى

هى وتلال بلدتى الجميلة أسعدتنى

زاهى ..زاهى نادت ياسمين عليه بعد أن رأت شروده ، ثم وكزته فى يده اليسرى ، فإستفاق أخيرا مبتسما : ماذا هناك ياسمينة ؟

ياسمين بنفاذ صبر : إلى أين ذهبت بعقلك زاهى؟!

زاهى : قولى إلى أين ذهبت بقلبى ، أفكر بكِ ياسمين وفى مستقبلنا.

وبنظرة خجولة تركت رانية الطاولة لتفسح المجال لحديثهما الودى ، همهمات سعيدة بينهما ، جعلت رانية تغار لأنها لم تُخطب حتى الآن ، رغم جمالها الطاغى الذى يفوق جمال ياسمين.

ندبت حظها السىء وبكى قلبها بعنف ، فهزت رأسها بألم : لم يحدث معى هذا؟

أليس من حق قلبى أن يغترف السعادة ، أم أن هذا مُحال؟

متماسكة ظاهريا لكنها منهارة من الداخل ، فهى ترفض أن تظل على الهامش ، وخاصة أن نجاح عملها كمذيعة ، يؤهلها للزواج من أنجح الرجال ، وهذا ما تأمله فى سنوات عمرها الزاهرة.

على أطراف بيروت فى منزل أسرة ياسمين ، سأل والدها عنها فأخبرته والدتها أنها مع خطيبها وأختها ، استاء جدا وكان رد فعله غضب مقيت وهتافات رجت المنزل : كيف له أن يقابلها دوما خارج المنزل؟

فردت عليه : لا تخونه سلام فهما على وشك الزواج !

ثم أكملت : وأختها رانية معها أيضا ، والآن أخبرنى متى ستبيع شركتنا وتعطينى حصتى فيها؟

سلام بوجه مستهزء : أنا أتحدث عن ابنتنا وخطيبها وأنت تفكرين فى الأموال ، كم أنتِ جشعة لميا !

لميا وقد إستفزها كلامه ، فبادرت بالرد سريعا لكن سلام كان الأسرع : لميا إتصلى برانية وأخبريها أن يعودا للمنزل.

ثم أعطى لها ظهره وخرج من المكان ، أما هى فوضعت يدها على وجهها : أنت قاسى سلام !

فى اليوم التالى تعارك سلام مع ياسمين ، ووضع شرطه الذى رفضته ياسمين بقوة : لا أبى لن أعقد القران حاليا.

سلام : إذن متى أيتها الصحفية أخبرينى لم تفعلين ذلك؟

ياسمين : ومالذى أفعله ؟ أنا متمسكة بخطيبى وفى نفس الوقت أرفض عقد شهادة الزواج ، ليس قبل الحفل نفسه كما تعاهدنا أنا وهو.

ولم ينتهى هذا الحوار إلا بعد أن صفعت ياسمين الباب بقوة خلفها وهى تمضى نحو عملها الذى تأخرت عنه.

كتبت مقال هذا اليوم عن حق المرأة فى إتخاذ قرارات حياتها ، ظلت تكتب وتكتب ودموع ألمها تسابق القلم فى الحديث عن القهر الأسرى ، وتساءلت فى نهاية المقال : ونحن فى ختام القرن الواحد والعشرين وعلى أعتاب قرن جديد ، متى يخف قيد التدخل الأسرى فى حياة الفتيات ؟

أسهب زاهى فى الحديث عن قصة ليان ونوليا المحبوبان ، وكيف أن الحب عندما يستعمر القلب يقتل فينا الغربة ويهتك الحزن .

فاستوقفته إحدى الطالبات : لكن أستاذ زاهى هذا الحب فى القصص والروايات التى ندرسها فى الأكاديمية ، أما فى الحقيقة فليس هناك شىء إسمه حب !

إبتسم زاهى وصورة ياسمين ترواد قلبه العاشق : وهل عشتى الحب من قبل ؟

الطالبة بلامبالاة : لا لم أعش قصة حب .

أغلق زاهى كتاب قصص المغرمين بين الأدب والواقع ، ووقف أمام صفه الأكاديمى : الحب موجود فى الحياة وليس معدوم ، وإن بحثت عنه فلن تجده ، بل دعه يجدك ليكون حب صادق .

فنظر للطالبة التى أطرقت السمع وقال : عيشى الحب لتعرفيه ، أحبى نفسك ومن حولكِ وسيجدكِ نصفكِ الثانى حتما.

لما عادت ياسمين للمنزل ، دلفت لغرفتها وصممت على أن تبقى وحيدة طول اليوم ، فأمسكت القلم ودونت خواطرها بنغم حزين :

حبيبى أحبك بكل كيانى

ونزيف روحى

أعشقك أنا الخجولة فى هواك

لم أعترف لك بالحب

وأعرف أنك تحبنى

فعين قلبى تهوى ضحكتك

ورهف سمعى لا يسمع إلا همستك

حبيب عمرى وبدونك يتيمة ياقلبى

أعاهدك بالوفاء فى حبك

حتى نهاية عمرى

.....

رانية هزمت دموعها وقررت البقاء عزباء للأبد ، لم تجد من يفهم قلبها ولا عقلها ، و طلب الزواج الوحيد كان من أجنبى ينتمى لدين آخر هكذا اعتقدت فى البداية ، ومع الوقت إعترف بأنه مُلحد لايؤمن بأى دين على الإطلاق فتركته يقف وحيدا بعد أن رفضت الزواج المدنى ، وقاومت فى نفسها ذُل الحب كما قالت : قلب ميت أهون من قلب مجروح.

مضت الأيام بين شوارع بيروت وزهورها الفيحاء ، وحب مكتوم فى قلب ياسمين ، تعجز هى عن البوح به ، فيغضب زاهى ويصرخ بوجهها : باردة ياسمين قلبك حجر ، أحبك كل هذا الحب ، وأنت تبخلين علىّ بكلمة : أحبك !

بكت ياسمين بدموع وإنكسر قلبها فهتفت هتافات صامتة : كيف لبوح قلبى أن يحمله لسانى ، وأنا أخجل حتى من نفسى ياحبيبى!

وصلها إتصال من زاهى فمسحت الدموع بفرحة ، فإعتذر زاهى عن سلوكه المشين معها ولأنه تركها وحدها لتعود للمنزل ، ولكنه لم يعتذر

عن وصفها بالباردة ، ثم ألقت الهاتف من يدها ليسقط على السجادة الفارسية ويصدر صوتا مكتوما ، أخذت تفكر فيما قاله عن سفره لسوريا ليُدرس هناك الأدب العربى المعاصر ، قد أخذت على نفسها عهدا بأن تناقشه فى قراره ليعود عنه ، ثم نظرت من نافذتها للسماء : عندما نتقابل زاهى سأخبرك بحبى ولن أدعك تغادرنى هكذا.

فى مطار بيروت ذهبت ياسمين لتقنع زاهى بعدم السفر ، وحاولت مقابلته فى الأيام الماضية ، لكن رفضه كان الأسبق دائما ويختم كل مكالمة : لنتقابل فى المطار حبيبتى حتى تودعينى هناك.

تعاتبا بصمت أعين وقلوب مرتجفة ، هنا وقف القلبان بين كلام لم يُقال وفراق سيطول ، من حولهما الناس ولكنهما وحدهما فى عالم آخر ، بدأ زاهى الحديث بنصف إبتسامة : أستودعك الله ياسمين سأشتاق لكِ حقا.

ياسمين : زاهى لم القرار المفاجىء بالرحيل ونحن سنتزوج قريبا؟!

زاهى : ليس قرارا مفاجئا ، لن أستطيع ترك عملى أبدا.

ياسمين : زاهى أنا..أنا لا أستطيع العيش بدونك ، وحتى إن لم أخبرك بحبى فهذا.. لم تكمل لأن زاهى أوقفها بوضع يده على فمها : آسف لوصفك بالباردة ، وحتما لن أغيب طويلا عنكِ.

فإرتبكت ياسمين لاقترابه منها هذه المسافة ، و أبعدت يده برفق أنثوى ، فنظر لها زاهى بحب قائلا : إلى اللقاء ياسمينة الروح.

عندما تهيأ للرحيل هتفت ياسمين : انتظر زاهى.

ثم هرولت إليه محتضنة إياه : حبيبى لا تغيب عني كثيرا.

ألقى هنا زاهى حقيبة سفره ، وأحاط ياسمين بحنان أقرب لحنان الأب : إن غبتِ عن عينى ، فإنكِ لن تغيبى عن قلبى أيتها الحبيبة.

وحمل الحقيبة ومضى بين المسافرين يخطو بخطوات بطيئة نحو السفر ، تاركا حبيبته تبتلع بصمت رحيله ، ويتقافز قلبها وراء قلبه ، رحلت هى الأخرى عن المطار إلى منزلها وهى تحدث نفسها : سأنتظره مهما غاب ولابد لنا أن نلتقى حتى لو شاب قلبى من هذا الفراق.

تمت

أجراس القلب

فى إحدى شوارع الدقى وقف مازن يراقب منزل صديقه عماد ، فالأفكار تروادة وهو يفكر بتهانى زوجة صديقه ، التى أهانته وهى غاضبة :

-أتتعدى على حرمة منزل صديقك؟!

من هنا أقسم على الإنتقام منها ، فهو يهواها ويريد الإنتقام منها ، حبس أفكاره السوداء داخل عقله متوعدا : تهانى ..انتقامى منكِ قريب يامن أتعبتِ قلبى فى هواكِ ، وكسرتِ طلبى ورجائى .

بعد نهار يوم مُتعب إقترب من صديقه عماد ، ودموع باطنها ثلج وظاهرها نار : زوجتك خائنة صديقى ، البارحة أخبرتنى بحبها و إنها تلوذ بقلبى !

عماد بنبرة غضب : إخرس مازن لاتتحدث عن زوجتى الفاضلة هكذا وإلا قتلتك .

مازن : لا تصدقنى إذن وكيف تصدقنى وهى تخفى كل شىء عنك ، أنت رأيتنى أمس وأنا ذاهب وكلى غضب..لأنها طردتنى بعد أن رفضت خيانتك .

إنهارت نفسية عماد عندما تذكر ماحدث ليلة أمس ، وصدق حديث مازن وهوت نفسه إلى باطن من شك قاتل .

تنهدت تهانى بعد مشاجرة عنيفة مع زوجها عماد ، وضربت على الحائط بيدها ، ثم بقلبها هتفت : القلب مظلوم والعين تدمع بلا سكون ! كيف أوصف بالخيانة وأنا أدافع عن عرضى وزوجى؟

-والسيجار بيده جلس عماد والغضب باديا عليه : تهانى لا تعودى لقلبى بعد الآن.

كانت تهانى فى عالم آخر عندما حدثها عماد بصوته الأجش ، فلم ترد عليه فى حينها ، مما أغضبه وأعتقد أنها تستهين به .

رجعت تهانى بظهرها للخلف قليلا ثم تنهدت قائلة : ماذا كنت تقول عماد؟ أأرحل عنك بعد كل هذه السنوات !

خرجت تقى من غرفتها على هذا الصوت ، وهى تلتحف بغطاء من حزن على مايحدث ، قررت عدم الصمت وقالت : أبى ..أمى أرجوكما لا تهتكا جدار الوصل بينكما .

هنا تدخلت تهانى : تقى لا شأن لكِ بما يحدث..أفهمتِ؟

تقى وهى تحتضن أمها باكية : أمى لاتتركينا ، كيف نعيش بدونكِ!

قام عماد من مكانه بقوة مفرطة ، ثم ذهب إلى حيث تجلس تهانى ووضع فى يدها حقيبة ملابسها وهو يهتف : إرحلى عن بيتى وعن قلبى ، يامن كنتِ حبيبتى وزوجتى .

تهانى والدموع تراود عينيها البنيتين : صدقنى عماد أنا أحبك ، ولم أخونك أبدا فلا تظلم قلبى معك.

أشاح عماد بوجهه الغاضب وفرك يديه ببطء استفز تهانى ، فتحركت عاطفتها الغاضبة : حسنا عماد أنا راحلة ولا عودة لك ولا لقلبك.

ذهبت تهانى فى طريقها ، وألقت نظرة أخيرة على الشقة المتواضعة ، ذات الأثاث القديم والمفروشات العتيقة ، أما عماد فلم ينظر لها ولسان قلبه يقول : أحبها وأعشق قلبها ، وأجراس قلبى تنادى على قلبها ،لكنى لن أغفر لها خيانتها.

تذكر عماد كل ما قاله له صديقه مازن ، فتعصب وضرب المقعد بقدمه صائحا : خائنة !

ظن أنها خانت حبه وسنوات من الحياة بينهما لأجل آخر ، أهكذا يرد الحب بالخيانة ، وشنق المشاعر فى مقصلة الخداع؟ شعر عماد بهبوط

فى الدورة الدموية ، فتوقف عن التفكير لكن قلبه إستمر بالخفقان الذى شعر به ، ثم وضع يده على قلبه وأطلق آهة أوجعته ، وكتمت أنفاسه التى هدأت .

مر شهر على الفراق ، دون الطلاق الرسمى ضعفت مقاومة عماد لمشاعره ، فاشتاق لتهانى وبنغمة حزينة وقف يغنى " حبيبتى ومهجة فؤادى..أشتاق لكِ يانبضى وهزيم أيامى ..عشيقة روحى ورفيقة قلبى..حبى لكِ فترفقى بحبيبك".

عندما تذكر خيانتها التى لم يتأكد منها ، إهتز قلبه وأخذ يتأرجح بين مشاعر إشتياق وحزن وألم فراق ، كان عماد ينوى التحدث مع مازن قبل أن يُطلق تهانى.

سألت نفسها وهى تُنهى عملها : متى ينتهى نزيف الروح ، وتدفن تراكمات الشك؟

ومن الشك ماقتل الحب ، ووأد لهيب أشواقه ، وكانت تسير تهانى فى الشارع تتخبط بها زحمة المشاعر ، حاولت أن تخفف من وطأة شعور الإنكسار بداخلها ، بمتابعة محلات الشارع التجارى المزدحم دوما ، لكن ما يلبث أن يعود هذا الشعور الذى يشبه الجاثوم ، ليحتل صدرها ومكنون قلبها ، فيرهقها مما جعلها تتوقف عن السير لبرهة من الزمن.

فى بيت أبيها جلست تهانى تحن للماضى ، وتتذكر الحبيب الغالى ، رغم قسوته وتخوينه لها ، لم تصدق كل ماحدث ، أيراودها صديق زوجها وعندما ترفض خيانة زوجها ، تُتهم بالخيانة ، أيخطىء غيرها وتُعاقب هى ، بئس الأمر الذى أوجعها وأهان قلبها الجميل .

أحكمت هذه الأفكار خيوطها على قلبها ، فهانت عليها نفسها ، وآه من الحب والشوق الذى نعطيه لمن يقسو فجأة .

دخل والدها بوجهه السمح وقلبه الحنون ، وأعطاها الأمل فى عودة حقها لها ، مرت ساعة من الوقت قضتها تهانى فى تحضير الطعام لهم وأخرجت كل الأفكار من عقلها لكن ليس من قلبها .

سمعت أجراس موسيقية قادمة من الخارج فتذكرت غناءه لها أغنية عبد الحليم حافظ : أهواك وأتمنى لو أنساك وأنسى روحى وياك.

فهدأت قليلا ثم نزفت روحها إشتياقا على زوج قد تركها لشك وخدشت ضحكتها الماسية بزجاج القهر.

لما علم مازن بالأمر ضحك وهو يقول لعماد وضحكاته تعلو : زوجتك عار أحببتها أنا وترفض حبى ، لذا أوقعت بينكما ليخلو لى الطريق لقلبها ، لكنها مازالت ترفضى !

عماد : أتخوننى من أجل نزوة حب ، وأنا من أدخلتك بيتى وكنت لك صديقا؟

مازن وهو يواصل الضحك : ياصديقى الحياة كلها نزوات ، والحب أولها أليس كذلك؟!

عماد بعصبية مفرطة : مخطىء كعادتك دائما تحكم على الأمور من منظورك الضيق ولا تُحكم عقلك .

مازن بعد أن وقف : وماذا تفهم أنت من الحياة لتعلمنى درسا بها ؟

عماد : أفهم أنك خائن وتستحق التأديب.

و ضربه عماد حتى أحال وجهه إلى وجه يشبه اللوحات السيرالية .

أوقعه عماد بعد ذلك أرضا وغادر لمنزله وهناك كانت الوحدة رفيقته ، ثم ناجى عماد نفسه :

أتعود معى تهانى من جديد؟

أتنسى الإساءة وتعود لقلبى العنيد!

أتسامحنى حبيبتى وتغفر لى خطيئتى؟

إنى من فرط الندم أتهاوى كالمجلود فى قاع سجن مظلم.

على عتبة منزل والدها انتظر عماد حتى فتحت له تهانى ، فتهادى القلبان على أنغام العتاب.

مابين حنين جارف وكبرياء أنثوى لاذع ، تمنعت تهانى وأحجمت عنه مبتعدة ، فأحاطها عماد بيديه معتذرا بلهجة كلها أسف : تهانى أنا أعلم أنكِ كرهتينى بسبب ظلمى لكِ ، أعتذر وعليكِ أن تشفقى على قلبى .

تهانى برفعة روح طاغية : لا .. عماد لن أخضع لحكم قلبك وهوى دمعك!

عماد بوجل : لأجلى وأجل ذكرياتنا معا هونى على نفسكِ إشتياقها ياعنيدة ، أنا أعلم مقدار حبكِ لى .

أسقطت يدها بجوارها ورق قلبها وأرجعها الحنين لسنوات مضت فى حب قد أوغر قلبها ضد الفراق.

ضمها عماد لحضنه الدافىء ثم قبلها على جبينها : حبيبتى وزوجتى لنعود لمنزلنا ، هل لنا ياروح قد ألهبنى فراقها؟

تهانى بحشمة ووقار وخجل : لنعود عماد لمنزلنا قبل المغيب يازوجى.

وعادت تهانى لمنزلها مع زوجها وهو يمسك يديها ويُقبلها : آسف حبيبتى أنا مخطىء فى حقك ، فنسيت أن المُحب لايخون ، واتهمتك بتهمة شنيعة ، فهل تقلبين إعتذارى؟!

إحتضنت تهانى يده بقوة : حبيبى أغفر لك كل شىء ، إلا إشتياقى لك فلن أغفره حتى يتلاقى قلبينا من جديد فى هدوء يطيب لنا بعد فراق أليم أوصد باب السعادة ..وتوجعنا بسببه كثيرا.

تمت

الكاتبة

مروة علي ابراهيم, كاتبة شابة من مواليد عام 1990م, ابنة محافظة دمياط. حاصلة على ليسانس الآداب قسم التاريخ وكذلك على الدبلومة العامة في التربية. كاتبة روائية وقاصة ومؤرخة وباحثة في علم الآثار. صدر لها من قبل هذه المجموعة رواية نشرت الكترونيا تحت عنوان "أيام في باريس" والتي تمت مناقشتها في محافظة دمياط بمركز هيومان للثقافة والابداع. دائمة التواجد في الصالون الثقافي للمركز . صدر لها أيضا قصة طويلة نشر الكتروني تحت عنوان "الظل الشبيه" من دار ابداع فور اول للنشر الالكتروني والترجمة. أدمن في مجموعة ابداع للجميع وناشر في مجلة مسار أدبي وكاتبة في مجلة ابداع للجميع.

أجراس القلب

مجموعة قصصية

مروة علي ابراهيم

ابداع فور اول للنشر الالكتروني والترجمة

إبداع فور أول للنشر الالكتروني

أجراس القلب

عندما تعصف بنا الحياة ، ويعلو زئير أوجاعها ، نهرب للحب ومنه ، لأنه هو الرابط الأبدى بين الأرواح والمُهج وهذا الحب لايعترف بزمان أو مكان ، فى مفترق الطرق نسير بالحب وعنه أحيانا نحيد ..

مروة علي إبراهيم

sayed

إبداع فور أول